

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

منهج العلوم الاجتماعية بين المدارس والنظريات الاجتماعية

Social science methodology between schools and social theories

ربيع نعيمة REBIH NAIMA

جامعة زيان عاشور-الجلفة. - Ziane Achour University of Djelfa

الايمل: rebihuniv@gmail.com

تاريخ القبول 2022-04-02

تاريخ الاستلام 2022-03-01

ملخص:

يستدعي الحديث عن المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية معرفة ماهية هذه العلوم ومعرفة الدواعي الاستمولوجية لنشأتها وهذا يحيلنا إلى الرجوع لنقطة التحول التي جعلت الظواهر الاجتماعية تخضع للدراسة العلمية، التي تعددت زوايا الدراسة فيها فتعددت بذلك النظريات حسب رؤى المنظرين والعلماء الذين نشطوا مع الحركة التنويرية التي شهدتها أوروبا في تغيير معالم المجتمع وتجديد الفكر في جميع مجالات العلوم والتقنية والعلوم الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: المنهج العلمي- العلوم الاجتماعية- النظرية الاجتماعية

Abstract

To evoke the scientific methodology in the social sciences is to know these sciences and to know the epistemological reasons of their emergence, this imperatively pushes the researcher to return to examine the moment in which the social phenomenon became an object of scientific study. The scientific study itself has been multidimensional, hence the proliferation of theories according to the points of view of the theoreticians and scholars of the Enlightenment movement who were active in Europe in order to change the reference points of society and renew thought in all areas of the technical sciences and the humanities.

Keywords: scientific method, social sciences, sociological theory

مقدمة

يحضى موضوع العلم على اهتمام الكثير من المجالات المعرفية لتحديد مفاهيمه وتتبع مسارات تطوره وقراءة تاريخه ومعرفة ماهيته وفلسفة بناءه وهو ما ذهب إليه العديد من العلماء والباحثين كل حسب أهدافه، وإذا ما اعتبرنا أن العلم هو المرحلة المتطورة للفكر الإنساني فإن هذا يعود إلى استخدام المنهج العلمي في عملية التفكير أو البحث لدراسة الظواهر وإيجاد الحلول للمشكلات التي تعترض الإنسان سواء الطبيعية أو الإنسانية منها، وقد حاول العلماء انطلاقاً من ذلك تفسير وفهم وتأويل تلك الظواهر عن طريق تحليل متغيراتها أو نقدها والوصول إلى نظريات ومعارف جديدة كانت بمثابة ثورة فكرية في تاريخ الفكر الإنساني ولبنة أولية للتطور العلمي والتكنولوجي الحادث الآن في جميع مجالات الفكر.

كانت الانطلاقة الأولى على مستوى العلوم الطبيعية لتظهر على إثرها العلوم الاجتماعية مماثلة. وتمت هذه العملية في عصر التنوير وما أحدثه من فك الارتباط بين الفكر

الاجتماعي والدين والفلسفة مما ساهم في تغيير على مستوى التفكير والمجتمع في أوروبا.

لقد شحذت أفكار التنويريين المفكرين والعامة للانقلاب على الوضع السائد فظهرت الثورة الفرنسية والثورة الصناعية، واستطاع العلماء أمثال أوغست كونت وإيميل دوركهايم وكارل ماركس وغيرهم تأسيس علوم اجتماعية تدرس الظاهرة الاجتماعية بقواعد المنهج العلمي المتبع في العلوم الطبيعية والوصول إلى نظريات وقوانين تحكم المجتمع وتنظمه كل حسب اتجاهه ورؤيته. ولأن لا بناء فكري نهائي مهما يبلغ من الضبط فهو معرض دائماً للتنقيح أو النقد أو الإلغاء تعددت المدارس بتعدد النظريات. وعليه سنعرض في هذا المقال إجابات للتساؤلات التالية : ما المقصود بالعلوم الاجتماعية؟ وما هي الأسس المعرفية والتاريخية لظهورها؟ ما المقصود بالمنهج العلمي والنظرية ؟ ما هي التقسيمات المختلفة للنظريات حسب استخدامات المنهج العلمي؟

1- مفهوم العلوم الاجتماعية:

من خلال التنظير لمختلف اتجاهاتها المعرفية وتتمثل في علم الاجتماع، علم النفس، علم الاقتصاد، علم السياسة، علم السكان (الديموغرافيا)، الأنثروبولوجيا وهي علوم لها خصائصها التي تميزها عن العلوم الطبيعية لارتباط موضوعها بالذات الإنسانية غير الجامدة"

2- مفهوم المنهج العلمي

يرتبط مفهوم المنهج العلمي ارتباطاً وثيقاً بمفهوم البحث حيث أنه لا وجود للعلم ولا للبحث العلمي بدون المنهج العلمي، فهو وسيلتهما في الكشف عن المعارف والحقائق والقوانين التي يسعى إلى إبرازها وتحققها.

المنهج لغة :

أصل الكلمة في اللغة الانجليزية Method وتعني النظام والترتيب وطريقة عمل شيء، وتقابلها Méthode باللغة الفرنسية وهما مصطلحان مشتقان من الأصل اليوناني Métodos المؤلف من مقطعين: "Méta" وتعني "بعد" و"hodos" وتعني "طريق" فيتحدد معناها في "الطريق الواضح المحدد" ، كما يقابلها في اللغة العربية مصطلح منهج وهو مصدر مشتق من الفعل (نهج) بمعنى: طرق أو سلك أو اتبع، والنهج والمنهج والمناهج تعني الطريق الواضح.

المنهج اصطلاحاً:

- يعرف د/ جمال زكي المنهج العلمي بأنه: " الوسيلة التي يمكننا عن طريقها الوصول إلى الحقيقة أو مجموعة الحقائق في أي موقف من المواقف ومحاولة اختبارها للتأكد من صلاحيتها في مواقف أخرى وتعميمها لنصل إلى ما نطلق عليه اصطلاحاً (نظرية) وهي هدف كل بحث علمي"

- يعرفه د/ عبد الرحمن بدوي أنه: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيم على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة ومعلومة"

- تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أن المنهج مصطلح عام يُعنى بمختلف العمليات التي ينهض عليها أي علم من العلوم أو يستعين بها في دراسة الظاهرة الواقعة في مجال اختصاصه، وعليه فإن المنهج طريقة للتفكير والبحث يُعتمد عليها في مجال تحصيل المعرفة العلمية الصادقة والثابتة والشاملة حول ظاهرة معينة.

يعرف بعض المختصين العلوم الاجتماعية بأنها: "النتائج المعرفية لجهد الإنسان البشري في الميادين المعرفية الخاصة بالتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والإنسان، وعلم الاجتماع وعلم النفس" وعرفها فريد نيومان " fred " 1989 بأنها: " المحتوى المعرفي الخاص لمنظومة القيم المختلفة كالاقتصادية والاقتصادية والثقافية والسياسية"

تهتم العلوم الاجتماعية بالبحث في المعلومات والحقائق كغاية في حد ذاتها مهما بلغت درجة تعقيدها أو تشابكها وهي مجال الدراسة الأكاديمية المتخصصة.¹

كما أشار "مصطفى السويف" إلى أن المقصود بالعلوم الإنسانية - كعلوم تحوي العلوم الاجتماعية - أنها "مجموعة الدراسات التي تستخدم المنهج العلمي في دراسة مظاهر النشاط المختلفة التي تصدر عن الإنسان كفرد وكجماعة أو مجتمع وهي بهذا تضم مجموعة فروع علم النفس وفروع علم الاجتماع وعلم الحضارات والاقتصاد وبعض فروع من دراسات اللغة والتاريخ والقانون".²

تهتم العلوم الاجتماعية ببحث الظواهر والأفعال الإنسانية والسلوك الإنساني وجميعها نتاج لتفاعلات البشر وهم كائنات واعية ومدركة، إلا أن بعض المداخل المستخدمة في العلوم الاجتماعية تتعامل مع الظواهر الاجتماعية والأفعال الإنسانية بحسبانها أشياء لها وجود موضوعي مستقل عن وعي الإنسان وإرادته ومن ثم فهي قابلة للدراسة العلمية بنفس مناهج البحث في العلوم الطبيعية. تتضمن هذه العلوم: علم الاقتصاد، علم النفس، علم الاجتماع، علم السياسة، الديموغرافيا، والأنثروبولوجيا.³

بناءً على ما سبق فإننا نقدم تعريفاً إجرائياً: فنحن نقصد بالعلوم الاجتماعية "مجموع المعارف العلمية حول مختلف مظاهر الحياة المجتمعية والتي تخص الفرد والجماعة والمجتمع والتي تأسست عن طريق البحث العلمي

¹ محمد إبراهيم قطاوي، طرق تدريس الدراسات الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار الفكر، الأردن، 2007، ص 20.

² معتز سيد عبد الله وآخرون، آليات الإبداع ومعوقاته في العلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار غريب، القاهرة، 2006، ص 20-21.

³ عبد الله شلبي، علم الاجتماع والاتجاهات النظرية وأساليب البحث، دار شمس، القاهرة، 2008، ص 53.

الاجتماع المحافظ، أو محاولا التوفيق بينها وبين غيرها من الأفكار المعارضة⁵

لقد مثل هذا الاتجاه حلقة بداية لتطبيق المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية لتحذو حذو مثيلتها في العلوم الطبيعية، ويعتبر كل من رينيه ديكارت وفولتير وجان جاك روسو وديفيد هيوم وجون لوك من أهم المفكرين الذين نادوا بالتغيير انطلاقا من أفكار مناهضة للدين وللدولة القائمة وكانت أفكارهم بمثابة القاعدة الأولى لتأسيس الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية لهذا فقد امتدت جذور الوضعية إلى القرن (16م) وعموما فإن عصر التنوير امتد من منتصف القرن السابع عشر لغاية القرن الثامن عشر ميلادي.

وفيما يلي مجموعة من المميزات التي طبعت هذا العصر- وهي تعلي من شأن العقل وتحط من شأن الدين- والتي تتمثل في:

- نمو شعور العقل وإحساسه بنفسه وبقدرته على أن يأخذ مصير الإنسانية بعد إزالة كل عبودية للكنيسة.
 - الشجاعة والجرأة في إخضاع كل حدث تاريخي لامتحان العقل وتكوين كل النظم الاجتماعية تكوينا جديدا.
 - الإيمان بالتعاون والأخوة الإنسانية على أساس الثقافة العلمية وحدها وليس الدينية.⁶
- مهدت أفكار عصر التنوير مع نهاية القرن (18م) لبروز الثورة الفرنسية(1783م) وهي بدورها شكّلت أحد أهم دعائم قيام المنهج الوضعي المتكامل (أوجست كونت) وهو الطابع الذي ميّز القرن(19م).
- 4-الاتجاه الوضعي في دراسة المجتمعات الإنسانية(المنهج الوضعي)

تعتبر مناهج البحث كلها أسلوبا للتفكير المنظم الذي يعتمد على الملاحظة العلمية والحقائق والأرقام في دراسة الظواهر دراسة موضوعية بعيدة عن المؤثرات الشخصية أو الاتجاهات التي تملها المصالح الذاتية.⁴

إذن المنهج هو الطريقة والأسلوب الذي يتبعه الباحث في جميع مراحل التقصي العلمي حول ظاهرة ما تبناها بالدراسة للوصول إلى وصفها أو حل الإشكال المطروح حولها عن طريق تحليل البيانات وتفسيرها ونقدها. ولا غنى للبحث العلمي عن المنهج العلمي فالمنهج والنظرية هما أساسا أي علم.

تجلت أسس العلوم الاجتماعية مع ظهور المنهج الوضعي الذي نادى به مفكرو عصر النهضة الأوروبية بدراسة الظواهر الاجتماعية بالمنهج العلمي لأنها تحكمها قوانين مثلها مثل العلوم الطبيعية وفي ما يلي إيضاح لذلك.

3- فلسفة التنوير كتمهيد لظهور المنهج الوضعي:

سُمّي عصر التنوير بهذا الاسم كتفسير للإضاءات الفكرية التي طبعت القرن الثامن عشر في أوروبا، حيث ظهرت حركة فكرية دعا لها مجموعة من الفلاسفة أمنت بضرورة الاعتماد على العقل كوسيلة لإنتاج المعرفة وتفسير جميع الظواهر بدلا من الرجوع للدين وذلك بتجاوز النصوص الدينية والعقائد الغيبية التي كانت منتشرة في العصور الوسطى (كل ما يتعلق بتشريعات الكنيسة) والإيمان بقدرة الإنسان الذاتية على الفهم والتحليل والتفسير بالاعتماد على المنهج التجريبي كأساس لدراسة مختلف الموضوعات الطبيعية والإنسانية.

وعلى رأي محمود عودة والذي يؤكد على " أن الحديث عن نشأة علم الاجتماع باتجاهاته الفكرية المختلفة لابد أن ينطلق من عصر التنوير أو فلسفة التنوير هذه، وذلك لأن القضايا التي أثارها هذه الفلسفة قد لعبت دورا هاما في تشكيل الإطار الفكري العام للعلم الجديد، سواء كان هذا الإطار مستقبلا لهذه الأفكار ومنطلقا منها كعلم الاجتماع الماركسي مثلا، أو رافضا لها كما هو الحال بالنسبة لعلم

⁵ علي غربي، علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية والمحدث، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2007، ص 29.

⁶ محمد محمد امزيان، منهج البحث بين الوضعية واللامعيارية، الطبعة الثانية، الدار العامة للكتاب الإسلامي، الرياض، 1992، ص 40.

⁴ مروان عبد المجيد ابراهيم، أسس البحث العلمي لأعداد الرسائل العلمية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرواق، الأردن، 2000، ص ص 68-69.

5-الأسس المنهجية للوضعية

نعني بذلك الأسس المنهجية التي انطلقت منها الوضعية في دراسة الظواهر الاجتماعية واعتبرتها غير قابلة للنقاش، وجعلت من هذه الأسس مقياسا لكل تفكير علمي. يحدد محمد محمد أمزيان (1992) الأسس المنهجية للوضعية فيما يلي:

أ-اعتبار الإحساس وحده مصدرا للمعرفة الإنسانية:

أكد الوضعيون أن ما يخضع للإحساس هو فقط ما يمكن دراسته يقول دوركايم "لن يستطيع العالم أن يتحرر من الأفكار الشائعة ومن الألفاظ التي تعبر عنها إلا إذا جعل الإحساس هو المادة الأولية التي لا بد منها في نشأة كل معنى كلي"

ب- اعتبار النموذج الطبيعي سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية:

حيث تؤكد الوضعية على وحدة المنهج في التفكير بغض النظر في الموضوع المدروس يقول أوجست كونت: "...فالمنهج الوضعي الذي نجح في العلوم الطبيعية غير العضوية يجب أن يمتد إلى كل أبعاد التفكير"

ج- إخضاع الظواهر الاجتماعية للتجريب:

المقصود بالتجربة ليس التجربة العملية وإنما التجربة الاجتماعية التي تقوم على مقارنة الظواهر في حالة تشابهها واختلافها ودراسة العادات والتقاليد ومقارنة اللغات والوقوف على الوثائق والسجلات التاريخية ودراسة التشريعات والنظم السياسية والاقتصادية وغيرها وذلك بهدف تحقيق العلمية في العلوم الاجتماعية.

د- شيئية الظواهر الاجتماعية:

والراسخ في العلم أن أول من نادى بذلك هو "اميل دوركايم" الذي اعتبر أن الظواهر الاجتماعية أشياء خارجة عن ذاتنا فهو يقول في كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع" الذي نشره سنة 1895م: "إن الظواهر الاجتماعية" أشياء" ويجب أن تدرس على أنها أشياء" وقد فسر دوركايم هذه القضية بوجود دراسة الظواهر الاجتماعية مثلها مثل الظواهر الطبيعية وذلك بالتحقق من كل فكرة سابقة حول هذه الظواهر وأن تأتي المعرفة بها من

ظهر الاتجاه الوضعي كرد فعل وكنقيض لعلوم اللاهوت والميتافيزيقا اللذان يعتمدان المعرفة الاعتقادية غير المبرهنة.⁷

لقد ارتبط الاتجاه الوضعي بمؤسسه "أوجست كونت" حيث دعا إلى إعادة النظر في دراسة العالم الذي يعيشه البشر وفقا للأسس العلمية التي تعتمد على الحس والتجربة وذلك بدراسة الظواهر الملموسة أي التي يمكن ملاحظتها وقياسها أما التي لا يمكن ملاحظتها فهي غير موجودة أصلا، كما دعا من خلال ذلك إلى تنظيم المجتمع على جميع المستويات وإعادة بناء جذريا لأنه كان يرى أن الاضطراب والأمراض الاجتماعية والتي أدت إلى الفوضى الاجتماعية ما هي في الأصل إلا انعكاس لتضارب التفكيرين العلمي والديني فانجر عنه اضطراب وفوضى عقلية. من هذا المنطلق رأى "أوجست كونت" أن مهمته إصلاحية تنطلق من إزالة هذه الفوضى وإعادة بناء نظام عام للتفكير بالاعتماد على المنهج الوضعي (العلمي) في حل المعضلات الاجتماعية وتقويض التفكير اللاهوتي والميتافيزيقي. "وعليه اعتقد كونت أن الإصلاح العلمي أولى بالتقديم لأنه الأساس للإصلاح الاجتماعي ويتأتى الإصلاح العلمي والقضاء على هذه الفوضى العقلية بإنشاء علم جديد يدرس ظواهر المجتمع دراسة علمية وضعية"⁸

استطاع هذا الأخير أن يحدد معالم علم جديد سمّاه الفيزياء الاجتماعية في بداية الأمر ليصبح بعد ذلك علم الاجتماع وينقسم هذا العلم حسب رأيه إلى قسمين رئيسيين الأول: الستاتيك الاجتماعي أي ثبات المجتمع واستقراره (فالمجتمع يتكون من عدة نظم منها الاقتصادي والسياسي والخلقي والديني وهي متسقة ومترابطة وثبتة وتستقر في فترة زمنية من تاريخها ويتم دراستها للحفاظ على النظام العام للمجتمع) والثاني: الديناميك الاجتماعي أي تطور المجتمع وتقدمه (وهو البحث في القوانين التي تحكم نمو المجتمع وتغييره حيث تتم دراسته في حركته المستمرة)

⁷ فرج محمد صوان، البحث العلمي (المفاهيم، الأفكار، الطرائق والعمليات)، الطبعة الأولى، ابن نادين، الجزائر، 2017، ص 20

⁸ حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2001، ص 122.

جماعة من الباحثين في وضع تواصلية إيجابي) في فترة معينة من نمو علم معين¹¹

كما أكد "مايكل بولاني" (Michael Polanyi) على دور المناخ الفكري المتميز الذي يقف وراء خصوبة الفاعلية العلمية فممارسة البحث العلمي تقتضي انخراطا في جملة من الأفكار والعادات الذهنية والقواعد السلوكية التي تتبعها الجماعة العلمية التي يندمج فيها المقبل على البحث.¹²

أي أن المنخرط في جماعة بحثية يجب أن يتوافق مع مسلماتها ومنطلقاتها ويعمل وفق تعاليمها وهو يطلق على شبكة المسلمات والافتراضات هذه اسم "مقدمات العلم" أو "مقدمات الفكر"

لقد ارتبط مفهوم الإبدال (البراديغم) بمؤسسه توماس كون وبرز ذلك من خلال كتابه "بنية الثورات العلمية" سنة 1962 حيث ركز على الجوانب الاجتماعية للعلم وتطوره فهو ينظر للمعرفة العلمية على أنها نسيج جماعي وليست إنتاجات فردانية معزولة وهو بذلك يختلف عن سابقيه المنتمين للوضعية والمؤيدين للاتجاه التجريبي الذين يركزون على دور الملاحظة والتجربة والمنطق الصوري في نمو المعارف العلمية وتقدمها، وهو يرى إلى العلوم من زاوية تحليلية جديدة حيث يعتبر العلم كنتاج لفاعلية أفراد منضوين في جماعة علمية تؤطرهم مؤسسة ذات قوانين وأعراف تنظيمية وتعمل هذه الجماعة في إطار مجموعة من الممارسات المعقدة ذات الانتماء المذهبي والمؤسسي.

وقد أنظر للبراديغم أبعد من ذلك فهو وحدة تحليلية وتفسيرية بحيث يمكن اعتباره الرؤية والأداة- في آن واحد- التي تتحكم في الباحث خلال سير البحث من حيث التحليل والتفسير إذن البراديغم هو نموذج نحلل به الظاهرة الاجتماعية لتفسيرها كما أنه نموذج نفسر به الظاهرة الاجتماعية لتحليلها

د- النظرية: إن الهدف النهائي للعلم هو النظرية أي أن الهدف الأساسي للعلم هو إيجاد تفسيرات عامة للأحداث وعن طريق النظرية يستطيع العلم تحقيق الفهم والتنبؤ والضبط بهذه الظواهر.

الخارج عن طريق الملاحظة والمشاهدة وليس من الداخل عن طريق التأمل والاستبطان.⁹

وهذا أصبحت هذه القواعد منطلقات فكرية أساسية لأي علم انساني، فحيّد بذلك كل غيبي غير محسوس وازدهرت العلوم الاجتماعية مع بداية القرن التاسع عشر ليصبح لها مجالاتها الدراسية ونظرياتها ومناهجها الخاصة لتتعدد بذلك مدارسها المنهجية منذ نشأتها وتطور مفاهيمها وتتعدد وجهات النظر بين علمائها التقليديون والحداثيون.

6- المدارس المنهجية

لا يمكن الحديث عن المدارس دون تحديد جملة من المفاهيم المرتبطة بها وتكون كقاعدة أساسية في توجيه التقسيمات المختلفة للنظريات التي تعزى لمدرسة دون أخرى، وتتمثل هذه المفاهيم فيما يلي:
أ- الأنطولوجيا Ontologie ونعني بها النظرة إلى الوجود أو الطريقة التي ننظر بها إلى هذا الكون.

ب- الابستمولوجيا Epistemologie ترتبط بالطريقة التي نكتسب بها المعرفة وتسمى نظرية المعرفة أو فلسفة العلوم التي تعنى بدراسة طبيعة المعرفة وتحاول الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الكبرى: ما هي المعرفة؟ كيف نكتسب المعرفة؟ ماذا نعرف؟ لماذا نعرف؟ أين نعرف؟ ومن الذي يعرف؟¹⁰

ج- الإبدال (البردايم أو البراديغم): لقد استخدم هذا المصطلح المفكر "توماس كوهن" (Thomas Samuel Kuhn) (1922-1996) للتعبير عن المناخ الفكري النظري المشترك الذي تنخرط فيه مجموعة من العلماء من نفس الجيل ومن نفس التخصص كما استخدمه العديد من المفكرين بمفاهيم أخرى وهم في ذلك يعبرون عن المناخ الفكري الذي ينشط فيه البحث العلمي، فقد استعمل "لُدْفِيك فِلْكَ" (Ludwik Fleck) مصطلح "أسلوب التفكير" للدلالة على "تلك المجموعة من الأفكار التي تتقاسمها جماعة علمية"

¹¹ بناصر البعزاتي، خصوصية المفاهيم في بناء المعرفة
دراسات إبستمولوجية، دار الأمان، الرباط، المملكة
المغربية، 2007، ص 112.
¹² المرجع نفسه، ص 112.

⁹ محمد مجمل امزيان، المرجع السابق، ص 50-55.
¹⁰ عبد الحفيظ سعيد مقدم، مناهج البحث العلمي في العلوم
الاجتماعية والتربوية والنفسية، الطبعة الأولى، دار النشر
الدولي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2015، ص
25.

- أن يتم التوصل إلى قوانينها بطريقة علمية.¹⁶
انطلاقاً مما سبق حاولنا أن نقسم المدارس المنهجية الكبرى في البحث العلمي حسب المفاهيم التي عرضت سابقاً ووجدنا مدى ارتباطها ببعضها البعض حتى يتسنى لنا تقسيم وتحديد المدارس وفق أسس سليمة تسمح لنا للتعرف عليها من منظورنا الخاص.

إذن تبني الابستمولوجيا على نظرتنا للكون وهنا سيتضح لنا أنه بعد عصر التنوير ظهرت رؤية جديدة تنفي النظرة التقليدية والتي تؤسس للمعارف من خلال المكونات الأساسية للكون وهي الله، الإنسان، الطبيعة، وأصبحت النظرة الحديثة والتي نفت وجود الله تقتصر على تأسيس معارفها من المكونات الأساسية وهي الإنسان والطبيعة. فظهرت مجموعة من النظريات التي تتفق في توجيهها ضمن براديجم موحد لتشكل لنا مدرسة تتبع نموذجاً فكرياً يختلف عن باقي المدارس وهي مدارس ذات منشأ أوروبي وأمريكي، في المقابل لا يمكن الإغفال عن المدرسة التي نشأت في أحضان الحضارة الإسلامية أو انبثقت منها فالمتبع لمسار تقدم العلم والبحث العلمي يرى أن فكر الحضارة العربية الإسلامية حلقة بارزة في هذا المسار.

وانطلاقاً من رؤيتنا لتطور الفكر الإنساني قمنا بوضع المخطط التالي الموضح في الشكل رقم (01) والذي حاولنا من خلاله توضيح مجمل المدارس والنظريات التي انبثقت منها لتفسير الواقع الاجتماعي كما يرى رواد هذه النظريات، وذلك منذ ظهور العلوم الاجتماعية على رأسها علم الاجتماع في أوائل القرن 19م، وسنحاول في هذا المقال التركيز على المدارس الأوروبية بصفتها مؤسّسة لهته العلوم، ونظراً للتطور العلمي لأوروبا على المستويين النظري والمنهجي بالرغم من ما تشهده حديثاً العلوم الاجتماعية عموماً وعلم الاجتماع خصوصاً من أزمة إبستمومية في مجال المنهج والنظرية على حد سواء.

تختلف هذه المدارس من حيث منطلقاتها الأيديولوجية ومن حيث موضوع الدراسة وبالتالي تختلف في المنهج المتبع والأدوات البحثية المستعملة، وكلها تباينت وتعارضت في الإشكاليات المطروحة على مستوى البحث العلمي في العلوم

وعليه تعرف النظرية على أنها: "مجموعة من الأبنية (المفاهيم) المترابطة، والتعريفات والقضايا التي تمثل وجهة نظر منظمة حول الظواهر عن طريق تحديد العلاقات بين المتغيرات بغرض تفسير الظواهر والتنبؤ بها"¹³
كما تعرف على أنها: "مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات لها علاقة ببعضها البعض، والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة، وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها"

والنظرية هي مجموعة العلاقات المتكاملة والمتمتعة بمستوى معين من الصدق.¹⁴

- النظرية والعلم:

تمثل النظرية بالنسبة للعلم البوصلة للمكتشف، فالنظرية عبارة عن نسق من المعلومات تسمح للباحث بأن ينطلق منها لفهم ووضع صياغات جديدة وتفسيرات أكثر عمومية وعمق، فمشاهير المنظرين في ميدان معرفي ما، هم أولئك الذين استطاعوا إقامة نظرية مازالت تستعمل من قبل الباحثين الحاليين كمرشد ودليل.¹⁵
يتألف العلم أساساً من نظريات متعددة تفسر حدوث الظواهر في موضوع العلم، هذه النظريات يجب أن يتوفر فيها شروط محددة منها:

- أن تتألف من قوانين محددة يمكن تطبيقها واقعياً.
- أن تكون النظرية متوافقة ومنسجمة مع مجموعة النظريات السابقة التي شكلت العلم.
- أن تشكل بعناصر بسيطة يسهل فهمها والتعرف عليها من قبل المختصين.
- أن تفسر الظاهرة بشكل دقيق وواضح وتراعي التنبؤات المستقبلية لها.
- أن تستجيب للحالات الشاذة التي تظهر في مجالها وتفسرها.
- أن يتم اختبارها من قبل المختصين بسهولة ويسر.

¹³ بركات حمزة حسن، مناهج البحث في علم النفس، الطبعة الأولى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2008، ص 14.

¹⁴ السيد علي شتا، المنهج العلمي والعلوم الاجتماعية، المكتبة المصرية، الاسكندرية، 2003، ص 319.

¹⁵ مورييس انجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية (تدريبات عملية)، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، طبعة ثانية، دار القصة، الجزائر، ص 54-55.

¹⁶ محمد ماجد الخياط، أساليب البحث العلمي، الطبعة الأولى، دار الراية، الأردن، 2011، ص 16.

تعتبر النظرية البنائية الوظيفية من النظريات الكبرى التي تدخل في نطاق المدرسة الوضعية.

المدرسة التأويلية :

على عكس المدرسة الوضعية فهي ترى أنه لفهم المجتمع (الظاهرة الاجتماعية) يجب تأويل المعنى.

إن موضوع البحث عند التأويليين يحصره "ماكس فيبر" في النموذج المثالي فهو يبحث عن الكشف عن الدوافع والنوايا وأشكال الحياة وكل الظروف التي تعطي معنى لفعل أو حدث معين فالمعنى هنا مسألة مركزية في براديغم التأويل (ففيبر مثلا يرى: أن ماهو سوسيولوجي يكمن في البحث عن معنى الوقائع الاجتماعية، ذلك أن النشاط البشري في رأيه يتحدد دائما حسب معنى معين، "فقد ركز فيبر على الفهم التأويلي للمعنى الذاتي للأفعال الاجتماعية من أجل الوصول إلى تفسير علمي حيث يشتمل الفعل الاجتماعي على كل مظاهر السلوك الإنساني"¹⁸) وعليه على الباحث أن يفهم هذا المعنى حتى يتسنى له معرفة المجتمع.

ويترصده الباحث هذا المعنى بطريقتين أساسيتين هما :

1- الفهم الحالي المباشر وذلك بملاحظة كيف تبدو الأشياء في أول لحظة.

2- الفهم التفسيري وهو عمل فكري منهجي نظري يصاحب عملية البحث وهو يتطلب ملاحظة علمية دقيقة ومعقدة لا يستطيع الإنسان العادي استيعابها إذن فهي تحتاج لمفكر متخصص.

تنطلق هذه المدرسة في تحديدها لموضوع البحث في أن فهم ومقاربة السلوك البشري ينبغي أن يمر عبر المشاركة الاجتماعية للباحث يعني من الداخل أي من الذات وبالتالي فنقطة انطلاقها هو الفرد وتأويل ما هو خاص كمثل للكل. وعليه من غير الممكن أن يتجرد الباحث من ذاتيته فالمعرفة ها هنا تبنى من خلال عمليات التفاعل بين الناس.

تقتضي هذه المدرسة في الدراسة العلمية للوقائع الاجتماعية الاعتماد على المنهج الكيفي الذي يدرس الظواهر من خلال خبرات الأفراد بها والتفسيرات التي يقدمونها حولها باستخدام الملاحظة والمقابلة المفتوحة والتحليل النوعي لبياناتها.

الاجتماعية والإنسانية على وجه الخصوص تمثلت هذه الاشكاليات في التعارض القائم بين (الذات والموضوع) وبين (الكم والكيف) وبين (الفردانية والكلانية) وبين (الاستنباط والاستقراء) وغيرها من المتناقضات.

المدرسة الوضعية: وهي التي تعتمد البراديغم الوضعي يعتمد هذا البراديغم على وضع حدود فاصلة بين المفاهيم الأولية كالحس المشترك والايديولوجيا وبين المعرفة العلمية الدقيقة وعليه فعلى الباحث أن يحارب المعرفة غير العلمية (العامية) السطحية والقيم والايديولوجيا التي لا مكان لها في الخطاب العلمي والاعتماد على أدوات علمية صرفة في بناء الموضوع، "حيث تفترض الوضعية أن الحقيقة تتشكل من الظواهر التي تتصل وتترابط سببيا ببعضها البعض، وما هو (حقيقي) هو ما يمكن توضيحه فقط على أنه حقيقي بالرجوع إلى البرهنة الامبريقية لوجوده، عدا ذلك فهي غير مقبولة إلا إذا كانت مبنية على الحقائق الامبريقية التي يمكن ملاحظتها"¹⁷

ترى الوضعية أن موضوع البحث شيء تحدده خاصية خارجية وليس خاصية داخلية (أي ذاتية) باعتبار أن الأشياء المتجانسة كوقائع توجد بطريقة طبيعية داخل المجتمع وبالتالي يمكن القيام بتحليلها وتفسيرها بالتجرد عن الذات وهكذا فإن الوقائع الاجتماعية لها وجود خارج الفرد فهي مستقلة عن الأفكار الذي يحملها الفرد، وهو ما أكدته ايميل دوركايم حول شئئية الظواهر الاجتماعية وضرورة دراستها على أنها أشياء. وعلى الباحث الالتزام بالموضوعية حين دراسة هذه الوقائع فلا ينبغي غمس بذاته في موضوع بحثه. ولأن الحقائق توجد خارج الذات فعلى الباحث لاكتشافها استخدام المنهج الكمي في دراسة الظواهر بطريقة موضوعية واستخدام المقاييس والاختبارات والاستبيانات والإحصائيات كأدوات لجمع البيانات.

كما تعتبر الوضعية الواقع في حالة ثبات وتوازن لأن الواقع يوجد خارج الذات فهو يمثل النظام المنتظم. تنظر الوضعية للظواهر الاجتماعية نظرة كلية شمولية فهي تنطلق من الكل الذي يمثل المجتمع.

¹⁸ ياس خضير البياتي، النظرية الاجتماعية (جذورها التاريخية وروادها)، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2002، ص113.

¹⁷ رابح كعباش، الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص14.

خاتمة:

تشكل النظرية في أي علم من العلوم الدعامية الأساسية فبدونها تنفى على المعارف العلمية صفة العلم، وتكتسي النظرية في العلوم الاجتماعية أهمية كبيرة باعتبارها ترتبط بالواقع وظواهره المختلفة وقد حاول العلماء منذ نشأة هذه العلوم تحري الموضوعية من خلال استخدام المنهج العلمي والتجديد في معارفها حتى يتحقق النمو المعرفي .

تندرج كل من نظرية الفعل الاجتماعي و التفاعل الرمزي ضمن هذه المدرسة.

المدرسة النقدية: تتمثل في مدرسة فرانكفورت النقدية بألمانيا.

موضوع البحث في الاتجاه النقدي يكمن في الواقع الاجتماعي المتحرك والمتصادم والمتوتر باستمرار، إذن هناك حركية دائمة داخل المجتمع ينبغي الانطلاق منها، حيث كل ظاهرة تعتبر بمثابة واقعة تاريخية، وتحدد نفسها كما تحدد مجموع المجتمع.

وقد سبقت المدرسة الماركسية بقيادة كارل ماركس في الأخذ بالوقائع الاجتماعية من منطلق الصراع داخل المجتمع إلا أنها تختلف عنها في كون الماركسية تأخذ المنحى الشمولي في الدراسة فكارل ماركس يرى أنه لا يمكن عزل الذات العارفة عن موضوع الدراسة ذلك أن الذات تفكر ذاتها من خلال الموضوع الذي تدرسه وكلاهما يمثلان جزءا من نفس الصيرورة التاريخية أي أن الذات الباحثة الذات العلمية والذات العارفة مدمجة في نفس الصيرورة التاريخية للمجتمع ألا وهي الشمولية.

قام المفكر "أدورنو" أحد أقطاب المدرسة النقدية وأحد أهم روادها بنقد النظرية الماركسية الأرثوذكسية فهو يعيد للفرد أو الفردانية الدور البارز في دراسة الوقائع الاجتماعية ، وهو في هذا يتفق مع الاتجاه التأويلي في بناء الموضوع من حيث علاقة الباحث بموضوع بحثه غير أنها إضافة إلى التحليل النقدي في توجهه الديالكتيكي فهي تهدف أساسا إلى الكشف عما تخفيه الظواهر وليس تفسير الظواهر. يمكن القول أن الاتجاه النقدي الديالكتيكي يرى أن الواقع في تحول مستمر ولا يخضع لقوانين شمولية. ويجمع هذا الاتجاه بين استعمال المنهج الكمي والمنهج الكيفي.

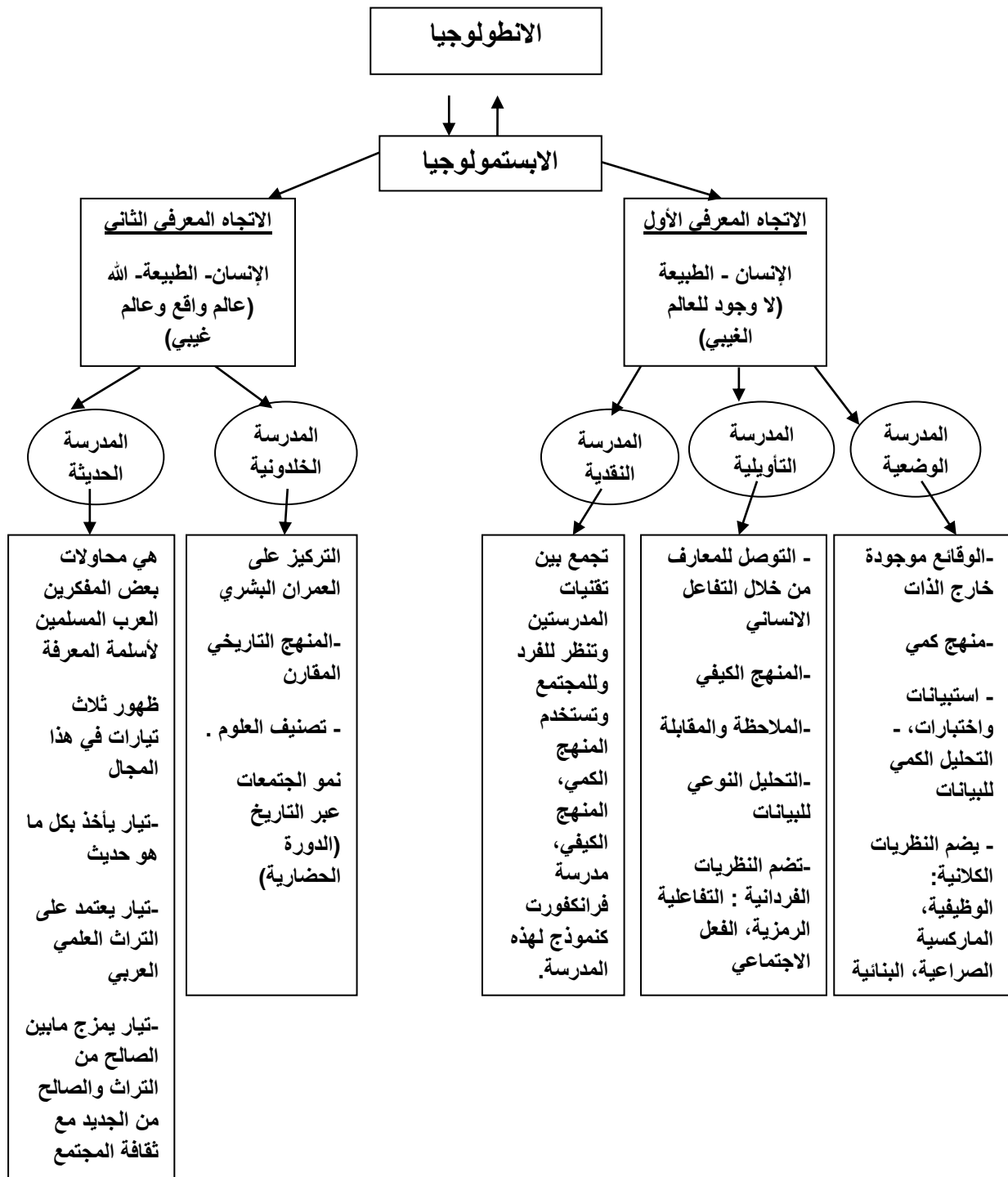
تندرج النظرية النقدية والنظرية الماركسية المحدثه ضمن هذه المدرسة¹⁷

¹⁷ انظر كل من:

قيس مرزوق الورياشي، مداخلة مقدمة ضمن فعاليات ندوة حول موضوع البحث المنهجي في العلوم الاجتماعية وسؤال البراديغم، الجلسة الأولى، مركز المغربي للبحوث والدراسات الإقليمية. على صفحة الفيس بوك، شوه في 22 أبريل 2021.
راجح كعباش، المرجع السابق .

علي غربي، علم اجتماع والتثنائيات النظرية، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007.
ياس خضير البياتي، المرجع السابق.
عبد الحفيظ سعيد مقدم، المرجع السابق، ص25-27.

الشكل رقم (01) مخطط توضيحي لمختلف المدارس المنهجية



المصدر: من إعداد الأستاذة صاحبة المقال .

قائمة المراجع

الكتب

- 1/ السيد علي شتا، المنهج العلمي والعلوم الاجتماعية، المكتبة المصرية، الاسكندرية، 2003.
- 2/ بركات حمزة حسن، مناهج البحث في علم النفس، الطبعة الأولى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2008.
- 3/ بناصر البعزاتي، خصوصية المفاهيم في بناء المعرفة دراسات ايستمولوجية، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 2007.
- 4/ حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2001.
- 5/ راجع كعباش، الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007.
- 6/ عبد الله شلبي، علم الاجتماع الاتجاهات النظرية وأساليب البحث، دار شمس، القاهرة، 2008.
- 7/ عبد الحفيظ سعيد مقدم، مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والتربوية والنفسية، الطبعة الأولى، دار النشر الدولي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2015.
- 8/ علي غربي، علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية والمحدثة، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2007.
- 9/ فرج محمد صوان، البحث العلمي (المفاهيم، الأفكار، الطرائق والعمليات)، الطبعة الأولى، ابن نادين، الجزائر، 2017.
- 10/ محمد إبراهيم قطاوي، طرق تدريس الدراسات الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار الفكر، الأردن، 2007.
- 11/ محمد ماجد الخياط، أساليب البحث العلمي، الطبعة الأولى، دار الراية، الأردن، 2011.
- 12/ محمد محمد امزيان، منهج البحث بين الوضعية واللامعيارية، الطبعة الثانية، الدار العامة للكتاب الإسلامي، الرياض، 1992.
- 13/ مروان عبد المجيد ابراهيم، أسس البحث العلمي لاعداد الرسائل العلمية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرواق، الأردن، 2000.
- 14/ معتز سيد عبد الله وآخرون، آليات الابداع ومعوقاته في العلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار غريب، القاهرة، 2006.
- 15/ مورييس انجريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية تدريبات عملية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، طبعة ثانية، دار القصبة، الجزائر، 2008.
- 16/ ياس خضير البياتي، النظرية الاجتماعية (جذورها التاريخية وروادها)، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2002.

المواقع الالكترونية

قيس مرزوق الوريثي، مداخلة مقدمة ضمن فعاليات ندوة حول موضوع البحث المنهجي في العلوم الاجتماعية وسؤال البراديجم، الجلسة الأولى، المركز المغربي للبحوث والدراسات الإقليمية. على صفحة الفيس بوك، شوهده في 22 أبريل 2021. (الساعة 11 ليلا)